مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

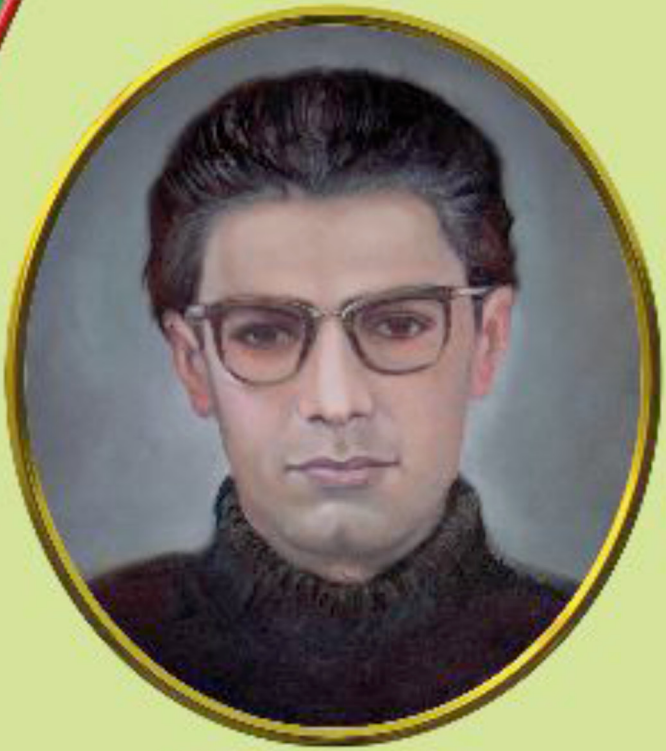

الشَّهِيد

طَالِبُ عَبْدُ الرَّحْمَن

1958 - 1930

مَنْشُورَات المَتْحَف الوَطَنِي لِلمُجَاهِد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-20-1
الإيداع القانوني : 2009-5829

المتحف الوطني للمجاهد

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

الشهيد

طالب عبد الرحمن

1958 - 1930

يُعَدُّ الشَّابُّ طالب عبد الرّحمن واحداً من الطَّلَبَة الذين انْظَمُّوا إلى الثَّورَة التَّحريريَّة وهم في مُقْتَبَل العُمْر، لأنّهم رَأَوْا أنّ بلادَهم بحَاجَةٍ إلى كُلِّ واحد من أبْنائها، فلمْ يَمْنَعْهم حُبُّهم للعلْم والرَّغْبَةُ في الدّرَاسة أن يكونَ حُبُّهم للنِّضَال من أجْل تَحْرير الوطَن أهمَّ من كلّ شَيْءٍ، إذْ ما قيمَةُ الشَّهادَة العلْميَّة للإنْسَان، إذا كان مُسْتَعْبَدًا، وكَرَامَتُهُ مَهْدورَة.

مثْلُ هذه الأفْكَار والمُعْتَقَدَات كانت تُحَرِّكُ وَطَنيَّةَ كَثير من شبابنا عند انْدلاع الثَّورَة التَّحريريَّة، كما حَرَّكَت الطُّلاَّبَ والتّلاميذَ عند مُغَادَرَتِهم مقاعدَ الدّراسة بعد الإضْرَاب

في 19 ماي 1956 تَلْبِيَةً لنداءِ أوَّلِ نوفمبر للمُشاركَةِ في الثَّورَةِ المُسَلَّحَة.

لقد عاشَ الشَّابُّ عبد الرحمن، الذي وُلِدَ في 03 مارس 1930 بالجزائرِ العاصمةِ، وتَرَبّى في الحَيِّ الشَّعبيِّ (سوسطارة) بالجزائرِ العاصمة، وخَبَرَ مُعاناةَ الشَّعبِ وظُلْمَ الإدارَةِ الاسْتِعماريَّةِ، منذُ وِلادَتِه.

نَمَا وَعْيُ عبد الرّحمن الذي تَكَبّدَ شَتَّى المُعاناة وذاقَ مَرارَةَ الظُّلْمِ الاسْتعْماريِّ، وأدْرَكَ وهو طَالبٌ بجامعةِ الجزائر، أنّ هذا الوَضْعَ المَأساويَّ الذي يعيشُهُ هو وغيرُهُ لا يَزُولُ إلاّ بزَوَالِ الظّالمينَ، لذلك بَدَأ إحْساسُهُ يَقْوَى ويَتَعاظَمُ بضَرورَةِ مُواجَهَةِ

الطُّغاة، إلى أن جاءَ نداءُ جبهة التَّحريرِ الوَطَنيِّ الدَّاعي إلى التَّوَقُّفِ عن الدِّراسةِ والتّفرّغ للمُشاركَةِ في الثَّورَة.

لقد وَجَدَ في هذا النِّداء ما يُلَبِّي وطنيَّتَهُ، ويُقَوِّي رَغْبَتَهُ في العَمَلِ الثَّوْري، فانْصَبَّ اهْتمَامُهُ على هذا الجَانب، وبَدَأَ يَنْشَطُ ضمْنَ الفرَقِ التِّقنيَّة المُكَلَّفَةَ بصنَاعَة المُتَفَجِّرَاتِ التي كانت تُغَذِّيَ العَمَلَ الفدَائيّ.

وممَّا يُرْوَى عن فَتْرَة نضاله -منذُ أن بَدَأَ يَنْشَطُ في هذا المَيْدانِ، إلى أن أُلْقيَ عليه القَبْضُ في عام 1958- أنّهُ في لَيْلَةٍ من لَيَالي عامِ 1956، اجْتَمَعَ ببَعْضِ رفَاقِهِ في النِّضال، في مَنْزِلِ أَحَدِهِم، ليَتَبَادَلُوا الحديثَ عن الثَّورَةِ وكانت في

عامها الثَّاني- بهَدَف إعْداد العُدَّةَ لُمواجَهَة خُطَّة الجنرَال (مَاسُّو)، التي فَرَضَها على العاصمَة، حيثُ أقَامَ الأسْلاكَ الشَّائكَةَ والمَتَاريسَ في كُلّ مكان، بهَدَف تَضْيِيق الخنَاق على الثَّورَة، ممَّا أجْبَرَ الكَثيرَ من المُنَاضلينَ على مُغادَرَة العاصمة، وفي تلك الأثْناء، دَخَلَ عليهم صَديقُهُم حسين، وفي يَده إحْدَى الجَرَائد الصَّادرَة في يوم 11 أكتوبر 1956، حيث لاَحَظُوا تَغَيُّراً على مَلاَمح وجْهه، على غَيْر عَادَته، فبَادَرَهُ أحَدُهُم بالسُّؤَال: ماذا أصَابَكَ يا حسين؟ إنّ وَجْهَكَ مُتَغَيّرٌ! هل تُخْفي شَيْئًا عَنَّا؟ هل هناك أخْبَارٌ غَيْرُ سَارَّة؟ أجَابَ حسين قَائلاً: أخْبَارُ هذا اليَوْم لا تَسُرُّ، لذلك جِئْتُ لأطْلِعَكم على بعضِها لنَتَدَبَّرَ الأمْر.

تَكَلَّمَ عليّ فقَالَ: أخْبَارُ هذه الأيَّامِ غَيْرُ مُفْرِحَة. وهنا خَرَجَ عبد الرّحمن عن صَمْته، وراح يَهُزُّ رَأسَهُ وقد ظَهَرَتْ على مَلامِحِ وَجْهه عَلامَاتُ القَلَق والاضْطرَاب، فقَالَ: هل تَمَّ القَبْضُ على مُناضلينَ جُدَد؟ ومن هم يا تُرَى؟ لأنّ البَحْثَ عنهم مُتَواصِلٌ منذُ أيَّام.

وهنا، رَاحَ حسين يُوَضِّحُ الخَبَرَ الذي جَاءَ من أجْلِ تَبْليغه: "إنّ ما حَدَثَ اليَوْمَ سيُؤدِّي إلى إلْقَاء القَبْضِ علينا جَميعًا"، ثمّ قَدَّمَ الجَريدَةَ التي نَشَرَت الخَبَرَ إلى عبد الرّحمن، وطَلَبَ منه أن يَقْرَأَ الخَبَرَ الذي أشارَ إلى مَكانه في الصَّفْحَة الأُولَى. ولمّا اطَّلَعَ عبد الرّحمن على تَفَاصيلِ الخَبَرِ، قَالَ:

هذه مُصيبَةٌ كُبْرَى، بل هي كَارِثَةٌ، نَرْجُو

أن تَمُرَّ بأقَلِّ الخَسَائِرِ، كُلُّ الجُهُودِ التي بَذَلْنَاها خلالَ عدَّة شُهورٍ قد تَضيعُ، وهذا قد يَشُلُّ نَشَاطَ الفِدائِيّينَ بالمَدِينَة.

قَامَ عليّ من مَكَانه قَلقًا، ثمَّ جَلَسَ، ووَجَّهَ كَلاَمَهُ إلى عبد الرَّحمن قَائلاً: أخْبِرْنا عن تَفَاصيلِ هذا الحَدَث، ماذا في الجَريدَة؟ وما هو الخَبَرُ المُقْلِقُ الذي وَصَفْتَهُ بالكارِثَة؟

لمْ يُجبْ عبد الرّحمن من شدَّة الارْتبَاك، لكنّهُ أوْضَحَ ما يُفَكِّرُ فيه، وقَالَ: يَجبُ أنْ نُطْلِعَ المَسْؤُولَ المَعْنِيَّ على ما حَدَثَ، لِيَتَّخِذَ القَرَارَ المُلائِمَ.

وبهذا، امْتَدَّ القَلَقُ إلى صَاحبِ المَنْزِلِ الذي انْفَعَلَ وقَالَ: ماذا دَهَاكُمْ؟ هل قَامَتِ القِيَامَةُ؟ أطْلِعونا على حَقيقَةِ الأمْرِ! وهنا

حَاوَلَ عبد الرّحمن أنْ يُهَدِّئَ من رَوْعِ الجَميعِ، فقَالَ: أَخْبِرْهُم يا حسين، ليَعْرِفُوا ما حَدَثَ، ولِيَعْذِرُونا على هذا القَلَقِ الذي اسْتَوْلَى علينا. سَكَتَ الجَميعُ، ووَجَّهُوا أسْماعَهُمْ لِمَا سَيَقُولُهُ حسين الذي جَاءَ بالخَبَرِ، حيث قَالَ: لقد وَقَعَ انْفِجارٌ شَديدٌ داخلَ (فِيلاَّ الوُرود) بالأبْيَار، وهَرَعَ البُوليس إلى المَكانِ وطَوَّقَهُ، وأقَامَ حصاراً مُشَدَّداً حَوْلَ مَكَانِ الانْفجَارِ، ثمّ قَامَ بتَفْتيشِ (الفيلاَّ)، وهنا عَثَرَ على المَخْبَرِ الذي كانَ إخْوَانُنا يَسْتَعْمِلونَهُ في صُنْعِ المُتَفَجِّرات والقَنَابِل.

لمْ يَتَمالَكْ صَاحبُ المَنْزِلِ نَفْسَهُ فقَامَ وسَارَ قَليلاً، وهَمَّ بالخُروجِ، وهو يَقولُ: إنّها فعْلاً كَارِثَةٌ، لكن كيف وَقَعَ الانْفِجَارُ داخِلَ

المَخْبَرِ؟ ومن تَسَبَّبَ فيه؟ ومن هم الأشْخاصُ الذين كانوا هناك أثناء الانْفِجَارِ؟

بَعْدَ هذا الحوَارِ الذي جَرَى بين الرِّفَاقِ، حين سَمَاعهمُ الخَبَرَ، تَيَقَّنَ عبد الرّحمن الذي تَمَلَّكَهُ الاضْطِرابُ والقَلَقُ، وتَسارَعَتْ خَفَقاتُ قَلْبه، أنّ البُولِيس سَيُضاعفُ من عَمَليَّة البَحْث والتَّحَرِّي من أجْلِ مَعْرِفَة من كانُوا يَنْشَطونَ في هذا المَخْبَرِ! وسَيُركِّزُ في بَحْثه على الجَامعيّينَ، وخَاصَّةً من كانت اخْتصَاصَاتُهم دراسةَ الكيمْيَاء. وقد وَجَدَ نَفْسَهُ في هذه الحَال مَدْفوعًا برَغْبَة قَويَّة للاتّصَال بالمَسْؤول العَسْكَرِيِّ، لمَعْرِفَة رَدِّ فعْله، باعْتباره المَسؤولَ عن العَمَليَّات الفِدائيَّة الجَارِيَة في المَدينَة.

لقد ظَلَّ الارْتِبَاكُ يُسَيْطِرُ على عبد الرّحمن يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ، والشُّكُوكُ تُسَاوِرُهُ، وهو يُفَكِّرُ في أَمْرٍ لَمْ يَبُحْ به لأحَدٍ، ألا وهو مُغَادَرَةُ العاصمة من جَديدٍ، كما فَعَلَ من قَبْلُ، بَعْدَ مُشاركَتِه في إضْرابِ الطَّلَبَةِ في 19 ماي 1956. لَقَد سَبَقَ له أنْ قَامَ برِحْلَةٍ اسْتِطْلاعيَّةٍ رُفْقَةَ عَمِّه إلى منْطَقَة القَبائل، بناحيَة أَزفّون، لَمعْرفَة الظُّروفَ التي يَعيشُهَا المُجاهِدونَ في الجِبالِ لِيُهَيِّءَ نَفْسَهُ للالْتِحاقِ بهم.

لقد تَذكَّرَ كيف اسْتَقْبَلَهُ المُجاهدونَ ورَحَّبوا به، حينما عَرَفُوا أنّهُ طَالبٌ جامعيٌّ، وهو واحدٌ منَ الذين اسْتَجابُوا لنداء الثَّوْرَة، وانْقَطَعُوا عن الدِّراسة، وهو الآنَ يُفَكِّرُ في الطَّريقَةِ التي يَنْضَمُّ بها إلى قَوافِلِ

المُجاهِدينَ، لدَعْمِ الثَّوْرَةِ بعِلْمِهِ وفِكْرِه.

ومنذُ عَوْدَتِه من هذه الرِّحْلَة، لمْ يَتوَقَّفْ عنِ التَّفْكيرِ في المَهَمَّةِ الجَديدَة، التي سَيَضْطَلِعُ بها، لأنّ البُوليسَ السِّرِّيَّ ما يَزالُ يَبْحَثُ عنِ الأشْخاصِ الذين كانوا يَصْنَعونَ المُتَفَجِّراتِ في فِيلاَّ حَيِّ الوُرود.

لقد صَعُبَ على البُوليس السِّرِّيِّ في البدايَة الوُصولُ إلى أحَدٍ منهم، لأنَّ العَمَليَّةَ كانت تَتِمُّ في سرِّيَّةٍ تامَّة. ولكنّهُ لمْ يَتوَقَّفْ عن مُواصَلَةِ التَّحَرِّي عنِ الفاعلينَ حتّى وَصَلَ إلى سِجِلاّت الجامعَة، فعَثَرَ على رَأسِ الخَيْط، حينَ اطَّلَعَ على قَوائمِ الطَّلَبَة الذين كانوا يُزاولونَ الدِّراسات العِلْميَّةَ، لكنَّ هذا لمْ يَكُنْ كافِيًا، ولمْ يُفِدْهُ في الوُصولِ إلى

الفَاعلِ الحَقيقيِّ، فعَمَدَ إلى تَصَفُّحِ سجلاَّتِ المُداوَمَةِ والغيَابِ، فتَمَكَّنَ من مَعْرِفَةِ انْقِطاعِ الطَّالبِ عبد الرّحمن عنِ الدِّراسَةِ منذ إضْرَابِ 19 ماي 1956. حينها، بَدَأَتِ الشُّكوكُ تَحومُ حَوْلَهُ، فصارَ مَحَلَّ طَلَبٍ من أجْلِ اسْتِنْطاقه، ليَدُلَّ عَنَاصرَهُ على المُخَطِّطِ الرَّئيسيِّ لهذه العَمَليَّةِ، ومن كان وراءَها.

ولمّا عَلِمَ المَسْؤولونَ في جَبْهَةِ التَّحريرِ أنّ البُوليس السِّرِّيَّ يَبْحَثُ عن عبد الرّحمن لإلْقَاء القَبْضِ عليه، أمَروهُ بالاخْتفاء، حتّى يَهْدَأَ البَحْثُ عنه، ومن أجْلِ ذلكَ أرْسَلَ المَسْؤولُ العَسْكَريُّ بالعاصمة مَن يَبْحَثُ عنه، فلمّا عَثَرَ عليه قَالَ لهُ: ابْتداءً منَ اليَوْمِ لا تَتَرَدَّدْ على المَنْزِلِ...ولا على الحيِّ الذي تَسْكُنُ به، لأنّ في هذا خَطَراً عليك

وعلى النِّظامِ، فتسَاءَلَ عبد الرّحمن: هل تَعَرَّفَت الشُّرْطَةُ على طَبيعَةِ نَشاطِي بالمَخْبَرِ؟ ومَن وَشَى بي لَدَيْها؟

أجَابَ المَسْؤولُ العَسْكَرِيُّ:

إنّ الشُّرْطَةَ لمْ تَتَعَرَّفْ عليكَ، وإنّما شَكَّتْ فيكَ بسَبَبِ انْقطاعكَ عن الدّراسة، وطَبيعَة اخْتصاصكَ العِلْمَيِّ (الكيمْياء). هُنَا نَطَقَ عبد الرَّحمن وقَالَ: أريدُ العَوْدَةَ إلى نَاحيَة أزفّون التي زُرْتُها وتَعَرَّفْتُ على مُجاهديها، فقَالَ له المَسؤولُ: اخْتَفِ الآنَ عنِ الأنْظَارِ، ثمّ نُفَكِّرُ في كيفيَّةِ الخُروجِ من العاصمة.

مَرَّت الأيَّامُ على عبد الرّحمن وهو لا يُفَكِّرُ إلاّ في كَيْفِيَّةِ الخَلاصِ من تَبِعَات

الانْفجار الذي عَرَفَتْهُ الأبيار، وأصبحَ البَحْثُ عنهُ جَاريًا بسَبَبه، وحينما خَفَّ البَحْثُ قليلاً بسَبَب بُروز أَحْدَاثٍ جَديدَةٍ، رَبَطَ المَسْؤولُ العَسْكَريُّ الاتّصالَ بقَائد الولايَة الرَّابعَة، الذي يُشْرِفُ عَلَى الأطْلَسِ البلَيدي، لتَرْتيب انْتقال عبد الرّحمن إلى هناك، ريثَما تُهَيِّءُ له قيَادَةُ الثَّوْرَة مَخْبَراً جَديداً، لُمواصَلَة صُنْعِ المُتَفَجّرَات، لَكنْ قَبْلَ الوُصول إلى هذا الهَدَف تَمَكَّنَ العَدُوُّ من إلْقَاء القَبْض على عبد الرّحمن، أثناءَ تَنَقُّله عبر سَهْلِ متّيجة القَريبِ من الأطْلَسِ البلَيدي. كان ذلك في الخَامسِ من شَهْرِ جوان 1957.

وقَبْلَ الشُّروعِ في اسْتنْطاقه، تَعَرَّضَ عبد الرّحمن إلى تَعْذيبٍ جَسَديٍّ ونَفْسيٍّ يَفُوقُ حَدَّ التَّصَوُّرِ، لكي يَبُوحَ للعَدُوِّ بأَسْرَارِ الثَّوْرَةِ

التي كان يَعْلَمُ الكَثيرَ عنها، لكنّه صَبَرَ صَبْرَ الرِّجالِ الشُّجْعانِ، وثَبَتَ ثُبوتَ المُناضلينَ المُؤْمنينَ بحَقيقَةِ ما يُناضلونَ من أجْله، ولمْ يَتَزَعْزَعْ إيمَانُهُ، ولمْ تَضْعُفْ عَزيمَتُهُ، وظَلَّ عدَّةَ شُهورٍ يَتَلَقَّى صُنوفًا منَ العَذَاب على أيْدي جَلاّديه، فلمّا عَجَزوا عنِ انْتزاعِ أيّ اعْترافٍ منه يُفيدُهم في الحَدِّ من قُدُرات الثَّوْرَةَ أو القَضاء عليها، أعْدَموهُ دون مُحاكَمَةٍ، في 23 من شَهْرِ أفريل 1958.

اهْتَزَّ العَالَمُ لهذا الإعْدَامِ وتَحَدَّثَت الصِّحافَةُ الدُّوَليَّةُ عنه، فسَاهَمَ إعْدامُهُ في تَدْويل القَضيَّة الجزائريّة. ومنذُ اعْتقاله نَشَرَتْ الصُّحُفُ نُبْذَةً قَصيرَةً عن حَيَاته، وعنِ العَذَابِ الذي كان يَتَلَقَّاهُ، وهو في

قَبْضَةَ العَدُوِّ، والصُّمودِ الذي أظْهَرَهُ مُدَّةً تُقارِبُ العَام.

ومُنْذُ اسْتِشْهَاده صَارَ رَمْزاً لِلشُّبَّانِ الجزائريّينَ الذين ضَحَّوا بأعَزّ ما يَمْلِكونَ، من أجْل اسْتِرْجاعِ السِّيادَةِ الوَطَنِيَّةِ.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار